Arrasikhun International Journal, Volume 5, Issue 2, December 2019

ISSN: 2462-2508

منهج ابن كثير في تفسيره

أ.د/ غالب بن محمد الحامضي

أستاذ التفسير والحديث بقسم الكتاب والسنة /جامعة أم القرى – مكة المكرمة

g1h2a@hotmail.com

ملخص البحث

تفسير ابن كثير من أجل الكتب التي الفت في التفسير، ويعد من أحسن وأصح كتب التفسير بالمأثور، ومن اهداف الكتابة فيه: ابراز شخصية الحافظ ابن كثير وإبراز منهجه في تفسيره، ومن النتائج التي توصلت اليها في البحث: أن ابن كثير –رحمه الله– شديد العناية بتفسير القرآن بالقرآن، فتفسيره أكثر ما عرف من كتب التفسير سردا للآيات المتناسبة في المعنى الواحد. واعتمد في تفسيره على أكثر كتب السنة، من الصحاح والمسانيد والسنن والمعاجم وغيرها. والمنهج الذي رسمه ابن كثير، قد أخذه عن شيخه، شيخ الإسلام ابن تيمية. وينبّه ابن كثير إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات وإسرائيليات، ويحذر منها على وجه الإجمال تارة، وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

الكلمات الافتتاحية: منهج، فسر، ابن كثير.

ISSN: 2462-2508

ABSTRACT

Interpretation of ***Ibn Katheer*** is one of the best books, written in the field of Interpretation. It is one of the best and most veracious writings of "*transmitted interpretation*". Among the Objectives Of The Research highlighting the personality of ***Al-Hafiz Ibn Kathir*** and his methodology in his interpretation. The research concludes some results such as, ***Ibn Katheer***, may Allah have mercy on him, was very careful in interpreting the verses of the Qur'an with each other. He used to narrate the relevant verses with each other. In his interpretation, he relied on most of the Sunnah's books, such as the Sahih, Masanid, Sunan, dictionaries and others. Methodology of ***Ibn Katheer*** was taken from his Sheikh, ***Sheikh Islam Ibn Taymiyyah***. ***Ibn Katheer*** warns of the Israi'liyyat and denials, warning from them completely and individually.

Key Words: Methodology, interpret, Ibn Katheer.

ISSN: 2462-2508

أهمية البحث:

إنّ أهمية هذا البحث تنبع من أهمية تفسير ابن كثير، فتفسير ابن كثير من أجلّ الكتب التي ألفت في التفسير، والتي جمعت تفاسير الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، فهو يعد من أحسن وأصح كتب التفسير بالمأثور، إن لم يكن أحسنها وأصحها على الإطلاق لعنايته بمناقشة أسانيد ومتون الأحاديث والآثار، اضافة إلى أنّ ابن كثير تمسك في تفسيره بعقيدة السلف في كلامه على آيات العقائد والأسماء والصفات، وموقفه المتشدد من الأخبار الإسرائيلية.

- **أهداف البحث:**

1- خدمة لتفسير ابن كثير ومؤلفه رحمه الله.

2- ابراز شخصية الحافظ ابن كثير في تفسيره.

3- ابراز منهج الحافظ ابن كثير في تفسيره، والاستفادة منه.

4- بيان مدى تطبيقه لمنهجه الذي ذكره في مقدمته، والتزامه به.

- **الدراسات السابقة:**

من الكتب السابقة منهج ابن كثير في التفسير للدكتور سليمان اللاحم، طبعة دار المسلم للنشر والتوزيع، طبع عام 1420هـ، وأصله رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير، ويقع في خمسمائة صفحة، وهو كتاب علمي رصين في موضوعه.

وأما بحثي فهو مختصر يقع في عشرين صفحة، كتبته من خلال قراءتي في تفسير ابن كثير كله والحمد لله، ولم أعتمد على كتاب اللاحم ولم أرجع إليه في بحثي.

والجديد في بحثي هو الاختصار وسهولة التناول والعرض، والبحوث وإن اتفقت في موضوعها فهي تختلف في نتائجها، وقد يكتب في موضوع واحد أكثر من باحث ويكون الفرق في الأسلوب وتناول الموضوع وطريقة العرض، والنتائج التي توصل لها كل باحث.

- خطة البحث: يتكون من مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث.
- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع.
- والتمهيد: وفيه ترجمة مؤجزة للحافظ ابن كثير.
- المبحث الأول: منهجه في تفسيره للقرآن، وفيه مطالب:
  - المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.
  - المطلب الثاني: تفسيره للقرآن بالسنة
  - المطلب الثالث: تفسيره للقرآن بأقوال الصحابة والتابعين.
- المبحث الثاني: منهجه في ايراده

ISSN: 2462-2508

للأحاديث في تفسيره.

- المبحث الثالث: منهجه في آيات الأحكام في تفسيره.
- المبحث الرابع: موقفه من أهل البدع والانحرافات.
- المبحث الخامس: اعتماده على اللغة في تفسيره

بسم الله الرحمن الرحيم

تمـهيد: ترجمة ابن كثير

اسمه ونسبه:

هو الحافظ الحجة المحدث الثقة، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المعروف بابن كثير القرشي [1] .

مولده وأسرته:

ولد ابن كثير بقرية مجدل[2]، سنة سبعمائة هجرية، وقيل سنة احدى وسبعمائة.

أمّا أسرته: فأبوه هو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير (ت 703هـ).

فقد اشتغل أبوه بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى، فدرس الفقه واللغة، وحفظ أشعار العرب، توفي في قرية مجيدل، وكان لابن كثير ثلاث سنوات، وبالتحديد عام سبعمائة وثلاث للهجرة[3].

نشأته:

بعد وفاة والده بأربع سنوات، تحولت أسرته إلى دمشق بصحبة أخيه الشقيق عبد الوهاب، فهو الأخ المحب الشفيق الذي كان بمثابة الأب والأستاذ الأول له، واتجه ابن كثير للاشتغال بالعلم، ومجالسة العلماء، فحفظ القرآن الكريم، وعمره لا يتجاوز الحادية عشرة.

ثم توجه لدراسة الحديث الشريف، فسمع صحيح مسلم في مجالس العلم. كما سمع أجزاء بالإجازات والسماع في الحديث، وأخذ الفقه عن شيوخه، وكذلك بعض الكتب، كالتنبيه للشيرازي في فروع الشافعية، ومختصر ابن الحاجب، وتهذيب الكمال[4].

أهم شيوخه:

كانت دمشق في عصر ابن كثير معدن

([1]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي(ت774هـ) البداية والنهاية 33/14. تحقيق على شيري، دار إحياء التراث العربي ط1 (1408هـ)

([2]) مجدل: بكسر الميم وفتحها مع سكون الجيم، وقيل اسمها مجيدل، وهي بلدة من بلاد فلسطين بين الناصرة وحيفا. (طهطاوي، أحمد رافع (ت1355هـ) التنبيه والإيقاظ لما في تذكرة الحفاظ، ص26). مطبعة الترقي عام1348هـ

([3]) ابن كثير، البداية والنهاية 14/ 33-34.

([4]) المصدر نفسه 14/ 156 -157.

ISSN: 2462-2508

العلم، وموئل العلماء، فقد برز فيها أئمة في شتى العلوم، حيث وجد فيها مدارس لتدريس الفقه الحنبلي والشافعي والحنفي، كما أن العلماء المشهورين والمشهود لهم بالعلم كانوا يتولون رئاسة دور الحديث.

وتتلمذ ابن كثير على صفوة ممتازة من هؤلاء الشيوخ الذين اشتهروا بسعة العلم وقوة الحافظة، وإخلاص العلم، وسأذكر أسماء بعض هؤلاء المشايخ إجمالا، علما أنهم صفوة العلماء في عصره، وهم:

1- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المتوفى سنة 728هـ.[1]

2- الحافظ أبو الحجاج المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، المتوفى سنة 742هـ.[2]

3- عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي، المعروف بابن قاضي شهبة المتوفى سنة 726هـ[3]

4- إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري، الشهير " بابن الفركاح" المتوفى سنة 729هـ.

5- إسحاق بن يحي الآمدي، المتوفى سنة 725هـ.

6- محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي، شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة 748هـ.

7- أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن الصالحي الحجار، المتوفى سنة 730هـ.

8- القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الشافعي، المتوفى سنة 739هـ.

9- زكريا بن يوسف بن سليمان البجيلي، المتوفى سنة 772هـ.

10- شمس الدين أبو نصر بن محمد بن عماد الدين الشيرازي، المتوفى سنة 723هـ.

11- أبو حفص عمر بن علي بن سالم، المعروف بابن الفاكهاني المتوفى سنة 734هـ.

إلى غير ذلك من شيوخه الكثيرين [4].

أشهر تلاميذه:

عرف طلاب العلم لابن كثير مكانته العلمية في الشام، فجلسوا إليه يستمعون منه، ويتفقهون على يديه، وما أكثرهم، وسأكتفي بذكر خمسة منهم:

(1) ابن العماد، عبدالحي بن احمد الحنبلي (ت 1089هـ) شذرات الذهب ت محمود الأرناؤوط 6/ 232 ط 1عام1406

(2) الطهطاوي، التنبيه والإيقاظ لما في ذيل تذكرة الحفاظ ص26.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية 132/14.

(4) لمعرفة مزيد عن شيوخه ينظر الرسالة العلمية للدكتور الزهراني مطر بن احمد بعنوان (ابن كثير المفسر) الفصل الخامس ص86-102، رسالة ماجستير جامعة ام القرى تقسم الكتاب والسنة عام 1402هـ

ISSN: 2462-2508

1- نور الدين علي بن أبي الهيجاء الكركي الشوبكي، ثم الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة 766هـ.[1]

2- بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله المتوفى 794هـ.[2]

3- محمد بن محمد بن عمر بن عنقة، أبو جعفر البسكري، المتوفى سنة 804هـ.[3]

4- سعد الدين سعد بن يوسف بن إسماعيل بن يوسف النووي، ثم الخليلي الشافعي، المتوفى سنة 805هـ.[4]

5- الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، المهراني العراقي الشافعي، المتوفى سنة 806هـ.[5]

مؤلفاته:

ألّف ابن كثير –رحمه الله – كثيرا من الكتب، فقد ملأ المكتبة الإسلامية بكثير من الكتب، في فنون مختلفة، منها: التفسير والحديث والتاريخ وغيرها، ومن مؤلفاته:

1- تفسير القرآن العظيم.

2- البداية والنهاية.

3- الكواكب الدراري في التاريخ[6].

4- سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

5- الفصول في اختصار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

6- جامع المسانيد والسنن[7].

7- التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل[8].

8- كتاب السماع[9].

9- شرح قطعة من أول البخاري[10] .

10- أحكام التنبه[11].

11- الأحكام الصغرى في الحديث [12].

12- الأحكام الكبير[13] .

(1) ابن كثير، البداية والنهاية 327/14.

(2) ابن العماد، شذرات الذهب 335/6.

(3) ابن العماد، شذرات الذهب 46/7

(4) المصدر انفسه 49/7.

(5) ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي (ت852) أنباء الغمر، ت د محمد خان، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2(45/1)، السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت902هـ) الضوء اللامع 174/4 دار مكتبة الحياة، بيروت، ابن العماد، شذرات الذهب 55/7-56.

(6) حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت1067هـ) كشف الظنون 2/ 1521، دار الكتب العلمية، بيروت.

([7]) المصدر نفسه 573/1.

([8]) المصدر نفسه 471/1.

([9]) المصدر نفسه 1002/2.

([10]) ابن العماد، شذرات الذهب 231/6.

([11]) المصدر نفسه 231/6.

([12]) حاجي خليفة، كشف الظنون 19/1.

([13]) ابن كثير، اسماعيل بن عمر، الباعث الحثيث ص 108، تحقيق احمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

ISSN: 2462-2508

13- سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] .

14- مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

15- مسند الشيخين.

16- الاجتهاد في طلب الجهاد.

17- الواضح النفيس في مناقب الإمام محمد بن إدريس [2].

18- مختصر المدخل إلى كتاب السنن للبيهقي [3].

19- السيرة النبوية.

20- مختصر علوم الحديث، ويعرف الآن بالباعث الحثيث.

مكانته العلمية:

تتجلى مكانة ابن كثير ومنزلته العلمية من خلال ما يأتي:

أولا: ما تركه من كتب ومصنفات، حيث احتلت كتبه مصادر رئيسية من التراث ينهل طلاب العلم منها العلم، ويعولون عليها، سواء في التفسير أو التاريخ.

ثانيا: تبوؤه مكان الصدارة في كثير من المجالات التعليمية والوظيفية في عصره.

ثالثا: من خلال أقوال العلماء المتخصصين، وبخاصة الذين عاصروه، شيوخا له أو تلاميذ طلبوا العلم على يديه[4].

وفاة ابن كثير:

وأخيرا انتهت رحلة هذا الشيخ الجليل، وكان قد أضرّ في آخر عمره، فأقعده العمى عن متابعة مهمته في متابعة الأحداث، وكتابة التاريخ عند سنة 767هـ.

وكانت وفاته في يوم الخميس 26 شعبان سنة 774هـ ، وشيعته دمشق في جنازة حافلة مهيبة، ودفن بوصية منه في تربة شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية بمقبرة الصوفية، خارج باب النصر من دمشق[5] رحمه الله رحمة واسعة .

المبحث الأول: منهج ابن كثير في تفسيره

المطلب الأول: تفسيره القرآن بالقرآن

لقد قرأت هذا التفسير كله —ولله الحمد

(1) ابن كثير، البداية والنهاية 18/7.

(2) حاجي خليفة، كشف الظنون 1840/2.

(3) ابن كثير، الباعث الحثيث ص 17.

(4) الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت 748)، تذكرة الحفاظ 1508/4دار الكتب العلمية بيروت 1419هـ

(5) ابن حجر، احمد بن عمر، الدرر الكامنة 374/1، مجلس دائرة المعارف حيدر اباد الهند، الداوودي محمد بن علي بن احمد، ت 945هـ طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية بيروت، 113/1، شاكر، احمد محمد، عمدة التفسير 34/1. دار الوفاء ط 2(1426هـ

والمنّة- فوجدته يمتاز في طريقته بأنه يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح الآية بآية أخرى يذكرها، وقارن بين الآيتين حتى يتبين المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع الذي يسمونه تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الكتاب أكثر ما عرف من كتب التفسير سردا للآيات المتناسبة في المعنى الواحد[1].

المطلب الثاني: تفسيره للقرآن بالسنة.

ومما امتاز به ابن كثير تفسيره للقرآن بالسنة، فهو يشرع في سرد الأحاديث المرفوعة التي لها تعلق بتفسير الآية، مع بيان ما يحتج به منها، وقد اعتمد في تفسيره على أكثر كتب السنة، من الصحاح والمسانيد والسنن والمعاجم والمستخرجات وغيرها، حتى شغلت مادة الحديث في تفسيره أكبر حيز.

ففي أول سورة الإسراء نقل كل الأحاديث الواردة في الإسراء [2].

وعند تفسير قوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ...}. النساء: ٤٨. ذكر ثلاثة عشر حديثا، قدّم لها بقوله: وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة نذكر منها ما تيسر. ثم ذكرها وأتبعها بعدة آثار [3] .

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: { وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن...} الأحقاف: ٢٩، ذكر قرابة عشرين رواية عن أحمد والشيخين وابن جرير وابن أبي شيبة والبيهقي وأبي نعيم، ثم قال: فهذه الطرق كلها تدل على أنّه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى الجنّ قصدا، فتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله، وشرع الله لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت [4] .

المطلب الثالث: تفسيره للقرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن يليهم من علماء السلف، فعند قوله تعالى: {وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيمهم}. الأعراف: ٤٦. ذكر قرابة ثلاثة عشر قولا في معنى أصحاب الأعراف، من هم؟ ثم قال: "واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى

([1]) انظر تفسيره (طبعة الشعب) على سبيل المثال لا الحصر 184/4-186، 255/8، 407/8، 448/8، 272/5، 307/5، وقد ذكر في الموضع عند قوله تعالى {وسع كل شيء علما} آية رقم: ٩٨ من سورة طه خمس آيات، ثم قال (308/5) والآيات في هذا كثيرة جدا.

([2]) انظر تفسيره (طبعة الشعب)4/5-42.

([3]) انظر تفسيره (طبعة الشعب) 285/2-290

([4]) انظر تفسيره (طبعة الشعب) 273/7-279.

ISSN: 2462-2508

واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله[1] .

وعند قوله تعالى: {إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين}. الصافات: ٢٨، ذكر تسعة أقوال في تفسير قوله {عن اليمين} [2] .

وهذا المنهج قد رسمه ابن كثير لنفسه في مقدمة تفسيره، فاسمعه وهو يقول:" فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أنّ أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة ... وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين ... -إلى أن يقول- إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر ...[3] .

وهذا المنهج الذي رسمه ابن كثير لنفسه، قد أخذه عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية بنصه[4].

المبحث الثاني: منهجه في ايراده للأحاديث في تفسيره.

ونجد ابن كثير – رحمه الله – ينقل من تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه وعبد ابن حميد وابن عطية وغيرهم ممن تقدمه، ولكنّه حذرٌ جدًّا في نقله، فهو حريص على تعقب الأحاديث الضعيفة والواهية، ويبيّن ما فيها من ضعف في المتن أو الإسناد [5].ويعدل بعض الرواة ويجرح بعضا، وهذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال[6].

([1]) انظر تفسيره (طبعة الشعب) 3/413-414.

([2]) انظر تفسيره (طبعة الشعب) 7/8.

([3]) انظر تفسيره (طبعة الشعب) 1/12-15.

([4]) انظر ابن تيمية احمد بن عبدالحليم الحراني ت 728، مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص39-44. دار ابن حزم، بيروت.

([5]) انظر تفسيره 8/116-117، 7/25، 6/45، 8/543.

([6]) انظر كلامه في سيف بن محمد الثوري حيث قال: كذاب متروك (4/85)، وعلي بن زيد بن جدعان، حيث قال: له مناكير كثيرة وغرائب كثيرة (4/329)، ومحمد بن الحسن بن زباله، قال عنه: متروك، وشيخه –عبد المهيمن بن عباس بن سهل ضعيف بالكلية (5/90)، وإبراهيم بن الحكم بن أبان، قال عنه: ضعيف (4/179)، وفي (4/317) قال: وهذا الحديث ضعيف

ISSN: 2462-2508

وممّا يمتاز به ابن كثير أنه ينبه إلى ما في التفسير المأثور من منكرات، وإسرائيليات، ويحذر منها على وجه الاجمال تارة [1]، وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى [2]، وهكذا يمضي ابن كثير في تمحيصه للأحاديث الضعيفة والمنكرة، سواء من جهة المتن أو الإسناد، مبينا ذلك بيانا شافيا بما أعطاه الله من موهبة ثاقبة، ورأي صائب، وباع طويل، وعلم غزير، ومن تتبع تفسيره وجده يسير على هذا النمط غالبا.

ولقد تساءلت في نفسي: إذا سكت ابن كثير على الحديث أو الأثر، فهل هذا يفيد أنه ليس واهيا ولا موضوعا؟

وبتتبعي لأحاديث وآثار تفسيره اتضح لي أنه سكت عن أشياء واهية، حاولت الوقوف عليها في موطن آخر، على أن أجد له حكما عليها فلم أجد لها ذكرا.

وقد يهمل التنبيه على بعض الأحاديث في بعض المواضع، فيظن قارئ تفسيره أنه أهمله، والحقيقة أنه لم يهمله وإن كان نبه عليه في موضع آخر، فمثلا: حديث تعزية الخضر لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حين وفاته، فقد ذكره في تفسير قوله تعالى {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}. آل

جدا، لأن سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضا.

([1]) انظر تفسيره (طبعة الشعب) (5/341- 342) و(5/165).

([2]) مثل قصة هاروت وماروت، فقد أوردها في تفسيره (1/198- 203) ثم قال: "وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن اجمال القصة من غير بسط ولا اطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى. والله أعلم بحقيقة الحال".

ومثل قصة عوج بن عنق، ذكرها ابن كثير عند تفسير قوله تعالى:{ قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين ...}آية رقم (22) من سورة المائدة، فاسمعه وهو يقول: وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارا من وضع بني إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأنه كان فيهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع... وهذا شيء يستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن ".ثم قد ذكروا أن هذا الرجل كان كافرا، وأنه كان ولد زنية، وأنه امتنع من ركوب السفينة، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أنّ نوحا دعا أهل الأرض من الكافرين، فقال:{ ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا } سورة نوح رقم (26)، وقال تعالى:{فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون، ثم أغرقنا بعد الباقين} سورة الشعراء رقم(119-120)وقال تعالى: { لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم } سورة هود رقم (43)، وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟ هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع. ثم في وجود رجل يقال له: " عوج بن عنق " نظر، والله أعلم ". تفسيره (3/70-71).

ISSN: 2462-2508

عمران: ١٨٥، فقال:" قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز الأويسي، حدثنا علي بن أبي علي اللهبي، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت التعزية، جاءهم آت يسمعون حسّه، ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال جعفر بن محمد: فأخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال : أتدرون من هذا ؟ هذا الخضر عليه السلام[1].

فابن كثير –رحمه الله– لم ينبّه على ضعفه هنا، ولكنّه نبّه عليه في تفسير سورة الكهف حيث قال بعد استعراضه لأقوال من يقول بحياة الخضر ومن يقول بموته مرجحا القول الأخير، قال: وذكروا في ذلك حكايات وآثارا عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره في بعض الأحاديث، ولا يصح شيء من ذلك، وأشهرها حديث التعزية، وإسناده ضعيف[2] .

المبحث الثالث: منهجه في آيات الأحكام في تفسيره

كما نجد ابن كثير –رحمه الله– يتطرق لذكر المذاهب في بعض آيات الأحكام، كما يرى ذلك واضحا في تفسير سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم...}. البقرة: ١٨٣.

فتراه يتناول مذهب طائفة من السلف القائلين بأن من كان مقيما في أول الشهر ثم سافر في أثنائه فليس له الإفطار بعد السفر، والحالة هذه، فيناقشهم ابن كثير ويرد عليهم بأدلة ثابتة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم يتطرق إلى مذهب من يقول بوجوب الإفطار في السفر، ويصحح قول الجمهور في أن الأمر في ذلك على التخيير، ويثبت الأحاديث الواردة في ذلك. ثم يتناول مذهب القائلين بأفضلية الإفطار في السفر، ويمضي في ذلك مناقشا ومرجحا ومفندا ومختارا، ثم من أفطر هل يجب عليه

(1) ابن كثير، اسماعيل بن عمر ت774، تفسير القرآن العظيم (154/2)، تحقيق ابراهيم محمد البنا وجماعة، طبعة الشعب

(2) المصدر نفسه (184/5).

ISSN: 2462-2508

القضاء متتابعا أو يجوز فيه التفريق[1] ؟.

وهكذا يفعل في تفسير آيات الحج وآيات الطلاق، والخلع وغيرها من آيات الأحكام، بل لا يذكر كل المذاهب المتعلقة بالآية كما يفعل غيره من المفسرين كالقرطبي مثلا، وإنما يقتصر على أهم المذاهب وأشهرها، كما يظهر ذلك في تفسيره جليا، والله أعلم.

وابن كثير –رحمه الله –كان من العلماء العاملين المخلصين لدينهم الذائدين عن حياضه، لذا نجده كلما سنحت له فرصة نبّه العلماء على ذلك، فعند تفسير قوله تعالى: {وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه}. آل عمران: ١٨٧، يقول بعد تفسيرها: وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، والدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار"[2] .

المبحث الرابع: موقفه من أهل البدع والانحرافات

كما نجد ابن كثير –رحمه الله– شديدا على أهل البدع والانحرافات الدينية فيها جمهم، ويفند أقوالهم، ويدحض حججهم الواهية، فانظر إلى كلامه عند تفسير قوله تعالى: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات}. آل عمران: ٧. حيث ذكر أنّ أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج وأن سبب خروجهم هو الدنيا[3] .

ويهاجم ابن كثير من يدّعي محبة الله عزّ وجلّ وهو ليس على الطريقة المحمدية، انظر إليه حين يفسر قوله تعالى: {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} آل عمران: ٣١.

يقول في تفسيرها:" هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس

([1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 311/1– 312

([2]) المصدر نفسه 157/2.

والحديث أخرجه ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ) ط دار الحديث، القاهرة،98/1 رقم 266 في المقدمة، ابن حنبل، أحمد بن محمد في المسند تحقيق بإشراف د عبدالله التركي، دار الرسالة 296/2، 499 وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 6160.

([3]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 7/2.

ISSN: 2462-2508

الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي، في جميع أقواله وأفعاله وأحواله[1]،كما نجد ابن كثير –رحمه الله– ينتقد آراء بعض التابعين في تفسيره، التي هي عبارة عن مسائل اجتهادية، ولا توافق رأيه، وذلك انطلاقا من قول مالك رحمه الله "كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب القبر "، وأشار مالك إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم. فكل قول ليس عليه دليل من الكتاب والسنة والإجماع فلا يجب الأخذ به، إلا أن يوافق قياسا صحيحا.

انظر إليه عند تفسير قوله تعالى: {وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي...} البقرة: ١٩٦.

يروي آثارا خرّجها ابن جرير في تفسيره عن سعيد بن جبير، وعلقمة، والحسن، وعكرمة، منها هذا الأثر:

قال ابن جرير: حدثنا ابن أبي عمران، حدثنا عبيد الله بن معاذ، عن أبيه عن أشعث، عن الحسن في قوله: {ففدية من صيام أو صدقة أو نسك}.البقرة: ١٩٦، قال: إذا كان بالمحرم أذى من رأسه حلق وافتدى بأيّ هذه الثلاثة شاء، والصيام عشرة أيام، والصدقة على عشرة مساكين، كل مسكين مكوكين: مكوكا[2]من تمر، ومكوكا من بر، والنسك شاة.

وقال قتادة: عن الحسن وعكرمة في قوله:{ففدية من صيام أو صدقة أو نسك} البقرة: ١٩٦، قال: إطعام عشرة مساكين.

قال ابن كثير: وهذان القولان من سعيد بن جبير وعلقمة، والحسن، وعكرمة، قولان غريبان، فيهما نظر، لأنه قد ثبتت السنة في حديث كعب بن عجرة بصيام ثلاثة أيام، لا ستة، أو اطعام ستة مساكين، أو نسك شاة، وأنّ ذلك على التخيير كما دل عليه سياق القرآن[3] .

ولما كان ابن كثير حرا في تفكيره وتصرفه، لا يقلد ولا يمشي وراء الغير إلا بالدليل، فهو أحيانا يستحسن رأيا لمن سبقوه، وأحيانا يناقشهم، وأحيانا يرد عليهم، كل ذلك في حدود الدليل.

فانظر إليه وهو يختار ما رجحه ابن جرير عند تفسير قوله تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته}. النساء: ١٥٩، فهو قد ساق عدة أقوال في تفسير هذه الآية نقلها من تفسير ابن جرير وغيره، ثم صحح ما اختاره ابن

([1]) المصدر السابق25/2.

([2]) المكوك: المدّ، وقيل: الصاع، والأول أشبه، لأنه جاء في حديث آخر مفسرا بالمد. (ابن الاثير، المبارك بن محمد الجزري، ت 606هـ، النهاية350/4) دار الباز للنشر

([3]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 238/1.

ISSN: 2462-2508

جرير، وهذا ملخص لما قال ابن جرير في تفسيره: فمنهم من قال: المراد بقوله: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته}. الآية – يعني قبل موت عيسى وذلك عند نزوله لقتل المسيح الدجال، فإنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به، وقيل: الضمير في قوله(قبل موته) راجع إلى الكتابي، لا إلى عيسى، أي قبل موت الكتابي، لأنّ كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه.

وقال آخرون: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي. ثم قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته، أي: قبل موت عيسى عليه السلام.

قال ابن كثير معقبا على ذلك: ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه، وهم لا يتبينون ذلك، ثم أنه رفع إليه وأنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية – يعني: لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم[1] .

ثم انظر ابن كثير وهو يخالف ما اختاره ابن جرير ولا يرتضيه، لأنه يراه غير موافق ولا يتمشى مع سياق الآية، فعند تفسير قوله تعالى: {وإذا حضر القسمة أولوا القربي واليتامى والمساكين فارزقوهم منه}. النساء:٨.

قال ابن كثير ما نصه: "وقد اختار ابن جرير هاهنا قولا غريبا جدا، وحاصله: أن معنى الآية عنده{إذا حضر القسمة}، أي: وإذا حضر قسمة مال الوصية أولوا قرابة الميت{فارزقوهم منه وقولوا} لليتامى والمساكين إذا حضروا قولا معروفا، هذا مضمون ما حاوله بعد طول العبارة والتكرار، وفيه نظر، والله أعلم[2] .

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {آخذين ما آتاهم ربهم} الذاريات: ١٦، "قال

(1) المصدر نفسه 404/2-406

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 193/2.

ISSN: 2462-2508

ابن جرير: أي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض. {إنهم كانوا قبل ذلك محسنين} أي: قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضا ... ثم تعقبه ابن كثير بقوله: "والذي فسر به ابن جرير فيه نظر، لأن قوله {آخذين} حال من قوله: {في جنات وعيون}. الذاريات: ١٥، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذون ما آتاهم ربهم، أي: من النعيم والسرور والغبطة"[1].

قلت: وليس غرضي من سياق هذه الأمثلة الحكم بالصحة على رأي ابن كثير فيما خالف فيه ابن جرير، وإنّما غرضي من السياق التدليل على أن ابن كثير ليس مقلدا فيما ينقل، وإنما له رأي مستقل يستحسن ما يراه حسنا، ويستبعد ما يظنه بعيدا، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

وبعد: فهذه أمثلة قليلة أوردتها في هذه الوريقات، اقتطفتها من تفسيره، تتضح من خلالها شخصية العالم المحدث، والناقد البصير، والمفسر الجليل، والداعية الواعي الذي يعي ما يقول، ويقول ما يعي، وهو على كل حال بشر يخطئ ويصيب كغيره من البشر، والكمال المطلق لله عز وجل، فإن المتتبع لتفسيره نزرا من الأحاديث الضعيفة التي لم ينبه عليها، فهي إما سهوا منه، وإمّا أنه قد ذكرها في موضع آخر من الكتاب، كما بينت ذلك فيما سبق، وأيضا فإنه يذكر الأحاديث معزوة إلى أصحابها كما يذكرها بأسانيدها غالبا، ومن أسند فقد خرج من العهدة ،كما هو الحال عند ابن جرير الطبري رحم الله الجميع.

هذا ومن مزايا تفسير ابن كثير أنه اعتمد على مصادر كثيرة كانت موجودة في عصره، شائعة ذائعة، فحفظ لنا الكثير من الفوائد والفرائد فوق ورودها في مواطنها، وبيان حالها هي بمصادرها بعيدة عنا، فلقد اقتبس في تفسيره من تفسير ابن أبي حاتم، وأجزاء منه لم نقف على أصلها المخطوط، واقتبس من تفسير ابن المنذر، ولم نقف إلى الآن على أصله المخطوط.

واقتبس من تفسير عبد بن حميد.

واقتبس من تفسير أبي الشيخ.

واقتبس من تفسير ابن مردويه.

ولما كانت هذه المصادر غير متوفرة، لا مطبوعة ولا مخطوطة، وما اقتبسه ابن كثير منها إنما هو مغنم مستقل.

([1]) المصدر نفسه 393/7.

المبحث الخامس: اعتماده على اللغة في تفسيره

تعرضه أحيانا للباحث العربية

كذلك نجد ابن كثير رحمه الله يتعرض أحيانا للمباحث العربية من ناحية تحليل المفردات والإعراب واظهار براعة الإعجاز القرآني ونحو ذلك.

ومن أمثلة ما تعرض له:

1- في تفسير قوله تعالى: {أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل} المائدة: ٦٠، يقول: وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل، فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة، كقوله: {أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا} الفرقان: ٢٤ [1].

2- وفي تفسير قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم}. المائدة: ١٠٦. يقول في إعراب {اثنان}هذا هو الخبر لقوله{شهادة بينكم}. فقيل تقديره: شهادة اثنين. حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وقيل: دل الكلام على تقدير أن يشهد اثنان.

وقوله: {ذوا عدل} وصف الاثنين بأن يكون عدلين[2] . انصرافه عما لا فائدة فيه.

ومن ملامح منهجه رحمه الله عدم اهتمامه غالبا بما لا طائل تحته، وإن أورد أقوالا في ذلك، فغالبا ما يعقب عليه بعبارة تدل على عدم تصديقها، كقوله: والله أعلم، ونحو ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

1- في تفسير قوله تعالى: {فقلنا اضربوه ببعضها} البقرة: ٧٣، يقول: هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معينا في نفس الأمر، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا، ولكن أبهمه، ولم يجئ من طريق صحيح عن معصوم بيانه، فنحن نبهمه كما أبهمه الله[3].

2- وفي تفسير قوله تعالى: {فخذ أربعة من الطير} البقرة:260، يقول: اختلف المفسرون في هذه الأربعة، ماهي؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها، إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن[4].

([1]) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (135/3)

([2]) المصدر نفسه (210/3)

([3]) المصدر نفسه:16/1.

([4]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم:466/1.

ISSN: 2462-2508

3- وفي قصة أصحاب الكهف يقول عن مكان الكهف:

ولم يخبرنا الله تعالى بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين، فذكروا فيه أقوالا[1].

وفي القصة نفسها يقول عن كلب أهل الكهف: واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها بل هي مما ينهى عنه فإن مستندها رجم بالغيب[2] .

الخاتمة وفيها أهم النتائج:

1- ابن كثير -رحمه الله- شديد العناية بتفسير القرآن بالقرآن، فتفسيره أكثر ما عرف من كتب التفسير سردا للآيات المتناسبة في المعنى الواحد.

2- اعتمد في تفسيره على أكثر كتب السنة، من الصحاح والمسانيد والسنن والمعاجم وغيرها.

3- المنهج الذي رسمه ابن كثير، قد أخذه عن شيخه، شيخ الإسلام ابن تيمية.

4- ينبّه ابن كثير إلى ما في التفسير بالمأثور من منكرات وإسرائيليات، ويحذر منها على وجه الإجمال تارة، وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى.

5- يحرص ابن كثير على تعقب الأحاديث الضعيفة والواهية، ويبيّن ما فيها من ضعف في المتن، والإسناد ويعدل بعض الرواة ويجرح بعضا، وهذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال.

6- ابن كثير من العلماء العاملين المخلصين لدينهم، الذابّين عن حياضه، ولذلك نجده في تفسيره كلما سنحت له الفرصة نبّه العلماء على بذل العلم النافع، الدال على العمل الصالح.

7- كان ابن كثير شديدا على أهل البدع والانحرافات الدينية، فيهاجمهم، ويفند أقوالهم، ويدحض حججهم الواهية.

8- ابن كثير في تفسيره مجتهد، لا يمشي وراء غيره إلا بالدليل، فهو يناقش ويتعقب ويرجح كل ذلك في حدود الدليل.

([1]) المصدر نفسه :139/5

([2]) المصدر نفسه:141/5.

ISSN: 2462-2508

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري، ت 606هـ، النهاية في غريب الحديث، دار الباز للنشر.
- ابن العماد، عبد الحي بن احمد الحنبلي، ت1089هشذرات الذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، ط 1 عام 1406هـ
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، ت 728هـ، مقدمة في أصول التفسير، دار ابن حزم، بيروت.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ت852هـ، أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية بيروت. ط 2 عام 1406هـ
- ابن حجر، أحمد بن علي ت 852هـ، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، ت 241هـ، المسند، دار الحديث القاهرة.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي ت774هـ، الباعث الحثيث، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية بيروت.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، ت774، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي. ت علي شير، ط 1 عام 1408هـ.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق إبراهيم محمد البنا وآخرون، طبعة الشعب.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ت 273هـ، السنن، دار الحديث، القاهرة.
- الألباني، محمد ناصر الدين، ت 1420هـ، صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي بيروت.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، ت 1067هـ، كشف الظنون، دار الكتب العلمية بيروت.
- الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، ت945هـ طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ت 748هـ، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت.1419هـ.
- الزهراني، مطر بن أحمد، الامام ابن كثير مفسرا، رسالة ماجستير، من جامعة أم القرى قسم الكتاب والسنة.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، ت 902هـ دار مكتبة الحياة بيروت.
- شاكر، أحمد محمد، ت 1377هـ عمدة التفسير، دار الوفاء، ط 2 عام 1426هـ
- الطهطاوي، أحمد بن رافع، ت 1355هـ، التنبيه والايقاظ لما في تذكرة الحفاظ، مطبعة الترقي عام 1348هـ.